قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت

ريشة : مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرهِ ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أَحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أَعدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُرِدوا من دِيارهِم ، وساءَتْ أَحوالُهُم ، وشاعَ الذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضَّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأَرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : ألسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أَن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقَّنا ونُصلحَ ما فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قال نَبيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قــالــوا : أبــداً لن نَتــراجــعَ . .

قال نبيُّهُم : سوف أسـأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَته .

آنصــرفَ القــومُ ودَعــا النبـيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنـظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقَنا الحديثُ فسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثور عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أين ضاعتْ . .

عـاد طـالــوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنــامَ والحـميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسأَلُك عنها . .

سأَلَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقـد سـأَلني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ



تحت رايتِه في سبيلِ الله ، وقد دعوتُ الله فآختارَكَ ملِكاً على بني إسرائيلَ . . وعليكَ أن تُعِدَّ نفسكَ للقِتال .

سألَ طالوتُ : الله هو الذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤَساءَ بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فآجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ وآجتمَع معهم طالوتُ . .

وقال لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ له المُلكُ ونحن أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سألَهم نبيُّهُم : لماذا تَتصوَّرونَ أنكُم أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قالَ الرؤَساءُ : نحن أغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاةِ الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعِلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وآختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمِثلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهذا هو

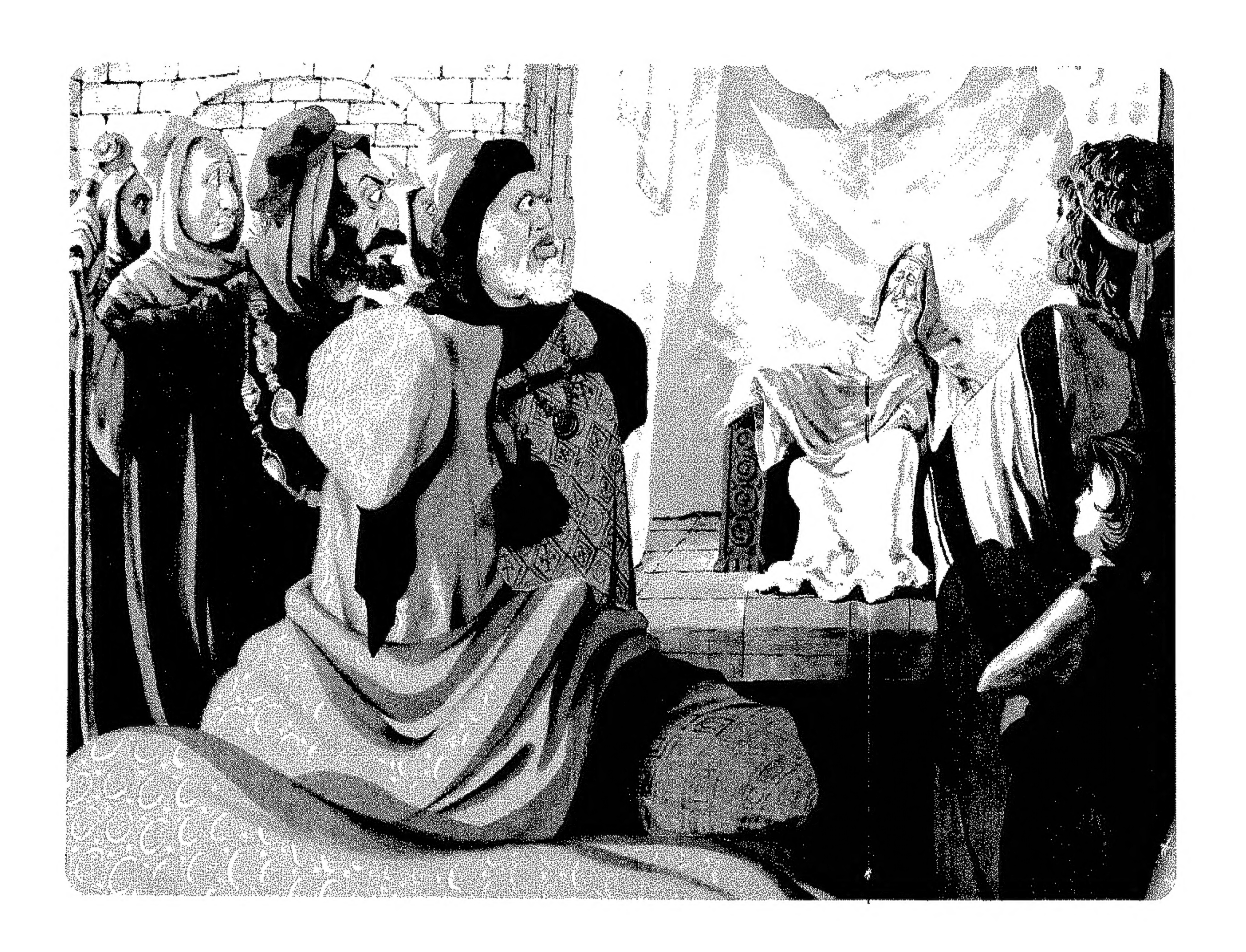
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسـدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طـالـوتَ فقيـرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكم ولا في السِّيـاسةِ . . أليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أقوى منه جَسداً وأكثر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أيُّهـا السَّـادة . . لقـد أَفهمتُكُم أكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم عـلى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعـرفُ أَسـرارَ الله وحِكمتَـه فـي خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أَن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً فسـوف تَقعُ المُعجـزةُ ويأْتيكُم تـابـوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيـلَ في اليـومِ التّـالي آنتِـظاراً لـوُقـوعِ المُعجـزةِ . . كان تـابوتُ العهـدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلـواحِ التـوراةِ التي أُنـزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثـارٍ تَركَهـا موسىٰ وهارُون . . وكـان هذا التـابوتُ

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِهِ في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ مِلِكاً عليهِم . .

وهكذا أَصبحَ طالوتُ مِلِكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأَ تكوينَ جيشٍ قويٍّ يتَدربُ على القِتالِ . .

أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاحِ إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يـرقُبُ بنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُـوةِ والصَّلابـةِ ، وكـان يَمتحِنُهـا بنفسِـه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاحِ والتَّدريبِ فترةً طَـويلةً ، حتى آطمأنَّ طـالوتُ لِسِلاح قومِه . .

كـان عدوُّهُم هـو جـالـوتَ ، وكـان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أحـدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنـودِه ولا مثيـلَ لأسلحَتِه في القُـوةِ . . وكـانَ جالوتُ يُشبِـهُ إعصاراً مُـدمِّراً لا يُقـاومُه أحٌد .

كان طالوتُ حَكيماً فأدركَ أن جَوهَـر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَـعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أن الغَلَبَـةَ ليستْ بـأعـدادِ الجُنـودِ إنمـا بصـلابـةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّـه لم يكُن قـد آطمـأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّـةِ عند الجُنـودِ والقادةِ . .

ولهـذا قـرَّرَ أن يَمتحنَ هـذا الجيشَ قبلَ أن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهِم جالوت . .

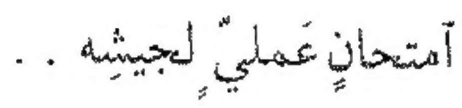
وأمـر طالـوتُ جيشَه أن يسيـرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيَّاماً وليـاليَ وسطَ هــذه الصحـراءِ حتى بـلغَ العــطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وآنتهى كــلُّ المــاءِ الــذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحـراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعـرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤُه شـديدُ العُـذوبةِ ، وقـرَّر طـالوتُ أن يكـونَ هـذا النهـرُ هـو أولَ





آمتحانٍ عَمليّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُنـدِ والألوِيَـة وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُرهُ الجيشُ . . لا تَشـربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهـرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهـرِ فَلينسحـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيَّـأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأَ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيا شَـديـدةُ الحَـرارةِ ، والمـاءُ عـذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .

آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قَبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تماماً . .

آنـكـمَش الـجـيشُ إلـى أَقـلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لِـطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيف نُقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالـوتُ : ليست العبرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قالَ القادةُ : لقد خرجَ مُعظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قالَ طالوتُ : بل بقيَ الكثيرُ . . لقد خرجَ غيرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصونَ الصَّابرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخرط الجيشُ في حوارٍ حولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قال أحدُ الجُنودِ : لو أن طالوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تساءَلَ الجُندي : ما الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟



قال الضابطُ : شيءٌ ليس هو السلاحُ ، وإن كان السلاحُ مُهماً ، وشيءٌ ليس ظاهِراً وإنما هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّونَه الرُّوح . . . أو إصرارُ الروحِ على الكسبِ . إن الجُنديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعركةِ وعَطشِها . . والجُندي الذي لا يتبعُ أوامِر قائِدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإرباكِ الجيشِ كُلِه في المعركةِ .

لقدَ خرجَ من الجيشِ ضعافُ الروحِ . . وبَقيَ الأقوياءُ . . وغداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشاعَ الإيمانُ العميقُ في الجيشِ وقالَ المُؤمنونُ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم